الأوضاع الاجتماعية في مدينة عموشة وعين الكبيرة أثناء الاحتلال الفرنسي 1945 – 1962 في تقرير سري للبوليس الفرنسي

أ.لوصيف موسى

قسم التاريخ، جامعة قسنطينة2 . عبد الحميد مهري

ملخص:

يتنـــاول المقـــال بالدراســـة والتحليـــل الأوضـاع العامـة التي أعقبـت حـوادث 08 مـاي 1945، في منطقة عين الكبيرة وعمـوشـة خاصـة سـنة 1946، وذلـك بتحليـل وثيقـة تاريخيـة موجـودة في أرشـيف أكس أون بروفـانس، هـذه الجهة التي مثلت مسرحا للمجازر الاستعمارية، وظلـت محـل متابعـة السـلطات الاسـتعمارية بغـرض إحكـام القبضـة وتحقيـق السـلم والآمـان، وذلـك لأن المعمـرين في المنطقـة ظلـوا يراسـلون السلطات الاستعمارية بغرض ردع أي انتفاضـــة الشـــعبية فـي المنطقـــة، فكانـــت السلطات تتابع وبكثب هذه الجهة، ورغم ذلك فإن أحقاد الكولون الدفينة بقيت والملاحقات اســتمرت والمتابعــات القضــائية تواصــلت، وبصـورة عامـة الوثيقـة نـص تـاريخي هـام عـن مرحلـة مـا بعـد 08 مـاي 1945 في البلديـة المختلطة لتقيطونت.

الكلمـات المفتاحيـة:- مجـازر 08 مـاي 1945.- البلديـة المختلطـة لتقيطونـت.- عـين الكبيـرة وعموشة.

- وثائق في أرشيف أكس أون بروفانس

Abstract

This study fully treats the analysis of the incidents following May 8th,1945 great massacre in the provinces of Ain Kebira and Amoucha namely in 1946.The work consists of analyzing a historical document found in Aix en Provence Archival documents in what concerns how to dominate these regions as they were famous for bloody encounters. Colonizers were minutely following the rioters of the regions for a complete control, peace and serenity because colonizers used to complain and write to their government to kill any act of rebellion in the region. Hence, French government pursued its unfriendly policy through judicial pursuits, sentences and intimidations to the populations. The document is considered an important primary source of post May 8th,1945 resurrection in the amalgamated regions of Taguitounet.

Key words: May 8th massacres, Amalgamated regions of Taguitonet, Ain Kebira and Amoucha, Aix en Provence Archival documents

مقدمة:

بالرغم من مرور عدة شهور، على مجازر ماي 1945م الرهيبة، التي اقترفتها فرنسا المتحضرة، في حق الجزائريين العزل، في مختلف أنحاء البلاد بشكل عام، وقالمة وسطيف وخراطة على وجه الخصوص، إلا أن شبحها ظل مخيما على كل أوجه الحياة في الجزائر، حيث باءت بالفشل، كل محاولات الإدارة الإستعمارية الفرنسية الرامية إلى التخفيف من وقعها النفسي والذهني على مواطنيها الأوروبيين بالدرجة الأولى، والسكان الجزائريين المصدومين بالدرجة الثانية.

بالتأكيد على أنها كانت حدثا مؤسفا، ينبغي طي صفحته نهائيا، وبالطمأنة على أنه لن يتكرر مرة أخرى، في صورة توحي بأنها لم تستوعب الدرس جيدا، ولم تدرك أن القادم سيقصم ظهرها في الجزائر، التي لن تبقى فرنسية في الأمد القريب، هذا في الظاهر.أما في الخفاء، فإنها كانت مرعوبة جدا، من تداعيات المجازر، خاصة من النواحي الأمنية والسياسية والاجتماعية، وهذا ما نلمسه في التقارير السرية، التي كانت تعدها بانتظام الدوائر الأمنية والعسكرية المختصة بالتركيز على أدق التفاصيل، التي يمكن أن تفيد السلطات العليا في معرفة اتجاه الرأي العام الجزائري بعد المجازر، وتجنبها أية مفاجأة في المستقبل.

لقد كان القمع شاملا، مس كل فئات الجزائريين من دون استثناء، وحشيا ورهيبا، جعل الكثير من الملاحظين المحايدين، يعتبرون ما حدث من أكبر وأبشع المجازر البشرية المقترفة في القرن العشرين في حين ذهب البعض الأخر منهم إلى تصنيفها من بين الأضخم والأخطر في تاريخ البشرية.

وما يؤكد حالة الرعب والتوتر- التي سكنت نفوس وأذهان المعسكر الفرنسي- وخاصة المستوطنين، استسلامهم لشائعات مفادها أن ثورة عارمة بصدد الاندلاع، وأن الأجهزة الأمنية لن تتمكن من إجهاضها، الأمر الذي دفع بأعداد معتبرة منهم، إلى ابداء الرغبة بمغادرة الجزائر، فقد صرحت على سبيل المثال، القنصلية الانجليزية في الجزائر، في نهاية عام 1946م، أنها استلمت 20ألف طلب، من قبل

المستوطنين يرغبون في التجنس بالجنسية الانجليزية، للإقامة في المستعمرات التابعة لبريطانيا، وخاصة في أستراليا.[1]

وربما كان النقاش الذي فتح على مستوى البرلمان الفرنسي، بداية من 28 فيفري 1946م، حول مسألة العفو الشامل، عن المعتقلين الجزائريين خلال وبعد شهر ماي1945م، خطوة مهمة في نظر السلطات وبعض مؤيدها من أجل تهدئة الأوضاع والنفوس والخواطر، بالرغم من المعارضة الشديدة لغلاة المستوطنين، وأنصارهم في مختلف دواليب السلطة ومصادر القرار الذي كانوا يطالبون بإنزال أشد العقوبات، على من يعتبرونهم مجرمين ومتمردين ومشاغبين.

ركزت تقارير الجهات الأمنية والعسكرية، التي أصبحت يقظة أكثر بعد نهاية المجازر، على العلاقة بين السكان الجزائريين والمواطنين الاوروبيين حيث حاولت جاهدة رصد كافة المؤشرات الدالة على استمرار، ما كانت تسميه مشاعر الحقد والكراهية بين الفريقين، أو تراجعها مثلما كانت تتمناه السلطات العليا، ليس رغبة في تحقيق الوفاق بينهما، وإنما لإعادة الوضع، إلى ما كان عليه، قبل الأحداث فحسب.

1.التعريف بالوثيقة:

الوثيقة التي بين أيدينا، هي عبارة عن تقارير صادر بتاريخ16مارس1946م، عن شرطة الاستعمالات لناحية قسنطينة، يحمل الرقم1595، موجه إلى السيد عامل عمالة قسنطينة، موقع من طرف المحافظ الرئيسي، رئيس شرطة الاستعلامات العامة لناحية قسنطينة المدعو" **بورديبه**" Bordier.جاء التقرير، في ثلاث أوراق بيضاء اللون، في حالة جيدة، مكتوب بالآلة الراقنة، وبخط واضح عموما تحت عنوان:" **الحالة الشعورية للسكان في نواحي سطيف وعين كبيرة**"[2] وقد أشار كاتب التقرير في بدايته، إلى أنه عبارة عن نسخة من تقرير أرسله له، مفتش عامل بمصالحه، على إثر مهمة أولية في ناحية عين الكبيرة Perigot ville.

هذا ولقد اعتمدنا، على النسخة الأصلية للتقرير الموجودة على مستوى الأرشيف الوطني الفرنسي لما وراء البحر بمدينة أكس أون بروفانس archives nationale outre

mer Aix-en Provence حيث أمكننا الاطلاع عليها وتصوير نسخة منها في أواخر شهر نوفمبر من سنة 2014م.

هذا ومن المعلوم أن نواحي سطيف، وخاصة عموشة وعين الكبيرة، قد كانت من أهم الأماكن التي شهدت عمليات القمع والقتل والإعدام، والحرق والمطاردة أثناء يوم 8ماي1945م، والأيام التي تلته، لذلك كانت الحصيلة بهما كبيرة، سواء تعلق الأمر بالأرواح أو الجرحى أو الممتلكات ولذلك كان من الطبيعي، أن تفرد تقارير دورية حول هذه النواحي بالذات، للأسباب السالفة الذكر.

2.الوضع في مدينة سطيف:

بدأ كاتب التقرير بالإشارة إلى أنه ومنذ أحداث ماي1945م،العلاقات بين الأوروبيين والأهالي، تعود شيئا فشيئا إلى حالتها الطبيعية، ما عدا بعض المشاعر الهيجان التي بقيت تنتاب أنصار ومؤدي القمع الشامل، متوقعا أن تلك المشاعر الناجمة عن تلك الأحداث المؤلمة، تتجه تدريجيا نحو الزوال.[3] .

وهو ولاشك اعتراف صريح بأن المسؤول عن استمرار تأجيج المشاعر، المعادية للجزائريين، هم فئة معتبرة من السكان الأوروبيين الذين لم تشف غليلهم، المجازر المقترفة وعمليات القمع الرهيب، والعقاب الجماعي والدمار الشامل، فراحوا يطلبون المزيد من الإجراءات الانتقامية والقمعية، ضد ما كانوا يصفونهم بالمتمردين والإرهابيين والمجرمين.

وأردف بعد ذلك إلى الإقرار بان السكان الأوروبيين يلقون مسؤولية الأحداث على المثقفين المسلمين، الذين يختفون في الظل، مستخدمين نفوذهم وتأثيرهم، حيث قادوا الجموع الجاهلة في الدواوير، إلى ارتكاب الجرائم الأكثر شناعة.وهو ما لم ينفه التقرير، حيث عطف على ذلك بالقول بأن: غالبية المسلمين على العكس، يعتبرون أن التمرد الذي قاموا به لا يمكنه أن يكسبهم أية فائدة تذكر، أي لا طائل من ورائه وهم ما جعلهم يكشفون، أنهم المسئولون الرئيسيون، عن الضحايا الذين سقطوا، ويقولون بصراحة أنهم أخطئوا.[4]

ولاريب أنه يأتي على رأس المثقفين المسلمين، الذين قصدهم التقرير فرحات عباس(1899-1985م) المناضل النشيط جدا في مدينة سطيف- التي شهدت في شهر مارس1944م، ميلاد حزبه" حركة أحباب البيان والحرية"، الذي ضم في صفوفه أعضاء ينتمون إلى تياراتمختلفة(النواب،النخبة، حزب الشعب، الطلبة، الكشافة، العلماء) بغرض الدفاع عن المطالب التي جاءت في نص بيان فيفري 1943م، بالإضافة إلى ((نشر أفكار جديدة بين الناس واستنكار النظام الاستعماري في الجزائر))[5].

وقد اعتبر المناضل " بن يوسف بن خدة" ((تشكيل حركة أحباب البيان والحرية بمثابة المحاولة السياسية الثانية بعد المؤتمر الإسلامي، بهدف جمع شمل القوى الحية في البلاد))[6].وبالرغم من حداثة الحزب، إلا انه حقق انتشارا شعبيا كبيرا، الأمر الذي أثار الرعب والهلع في نفوس المستوطنين الذين رأوا فيه تهديدا صريحا لمصالحهم.[7]

أما المثقف المسلم الثاني المقصود من قبل المستوطنين الناقمين هو بطبيعة الحال الشيخ البشير الإبراهيمي (1889-1965م) رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنحدر من سطيف، الذي وصفته إحدى التقارير السرية بأنه(خطيب فصيح له عقل نير وذاكرة عجيبة وهو رجل شجاع)، كان مقربا من فرحات عباس الذي كان العلماء يشعرون بأنه الأقرب منهم.[8]

كان نشاطهما لا يزعج المعمرين فحسب، بل يثير حفيظة السلطات العليا، التي كانت تتحين الفرصة المناسبة، من أجل معاقبتهما، ووضع حد لحماسهما المتزايد، وقد أتت في شهر ماي 1945م، فسارعت إلى اعتقالهما بتهمة تدبير الأحداث، وظلا قابعين في السجن إلى غاية صدور العفو الشامل عن معتقلي الأحداث، في 16 مارس1946م، حيث أطلق سراحهما، وواصلا نشاطهما بنفس العزيمة والإصرار.

ثم ختم التقرير، الحديث عن الحالة في مدينة سطيف بالإخبار أن العائلات الأوروبية والمسلمة المفجوعة، مازالت تبكي ذويها، الذين خسرتهم في الأحداث، وبالتأكيد على أن كل ذلك يبدو سيزول تدريجيا مع مرور الوقت.[9]

وللتوضيح، فإن التقديرات الرسمية(تقرير توبير)[10] لعدد القتلى الأوروبيين بين مدينة سطيف وقرية خراطة، كانت دقيقة جدا، حيث أوردت رقم29 قتيلا(09قتلى بقرية بني عزيز، 08قتلى بعين الكبيرة،08 بخراطة، 03 بعموشة، وقتيل واحد بتيزي نبشار) بينما تحاشت تقديم عدد الضحايا الجزائريين، بحجة استحالة ذلك، لأنها لم تشأ((نقل صورة عن مدينة تضم جزءا من الأوروبيين الذين أصابهم الهلع، فراحوا يقتلون الجزائريين في الشوارع انطلاقا من النوافذ والشرفات))[11]

3.الوضع في نواحي سطيف:

ذهب التقرير إلى أنه وبصورة عامة، الجميع عاد إلى النظام، ماعدا بعض القرى المفجوعة على نحو خاص، وفي المراكز الصغيرة، حيث يشكل السكان الأوروبيون أقلية، العلاقات بين الفرنسيين والفرنسيين المسلمين، قد عادت في حدودها الدنيا، التي تقتضيها ضرورة التعاون المحدود في إطار تنفيذ الأعمال أو الأشغال.[12]

ففي عموشة[13] les Amoucha على سبيل المثال ذكر بأنه على وجه الدقة، لو أن السكان الأوروبيين الذين بقوا في المدينة لهذا اليوم، احتفظوا ببرودة الدم،لما عرفت الأحداث التي وقعت طريقها الى عين المكان لكن أمام الذعر الذي أظهره الفرنسيون، أدرك المسلمون حالة الضعف التي كان عليها المعمرون، معتقدين أنها الفرصة المناسبة لإثارة الرومي(الفرنسي أو الأوروبي) والقضاء عليه.[14]

وكما هو واضح، فإن التقرير حمل الأوروبيين مسؤولية ما وقع لهم، بسبب ردة فعلهم التي اعتبرها خاطئة فقد سارعوا إلى مغادرة أماكنهم باتجاه سطيف.[15] الأمر الذي جعلهم عرضة لهجمات المتمردين، فقتلوا منهم عددا معتبرا.وأضاف بأن السلاح الذي قامت السلطات العسكرية بتزويد الأوروبيين به، كان بالنسبة إليهم ضمانا ودعما، للرفع من معنوياتهم وبصورة عامة، إذا كنا نعتقد بعدم قيام اضطرابات، فإننا في المقابل نخشى من حدوث أعمال معزولة(اعتداءات، سرقات...) وبالتالي فإن تلك الأسلحة، من شانها أن تسمح للأوروبيين بمنع هذه الجرائم وإمكانية تجنبها.[16] والحال أن السلطات العسكرية، قد فتحت مخازن الأسلحة الحربية المتطورة، أمام السكان الأوروبيين، وحتى للجزائريين الذين كانت تضمن ولائهم التام

لهـا، فتشـكلت بسـرعة مليشـيات، ولا تخضـع لسـلطة القـانون أو لـوازع أخلاقي مدججة بأسلحة كثيرة، وتستخدم عند الضرورة الوسائل المادية للإدارة(السيارات) وتتمتع بدعم الجيش، فقتلت وأعدمت أعداد هائلة من الجزائريين بشكل عشوائي، ونهبت أملاكهم وسرقت مقتنياتهم وانتهكت أعراضهم.[17]

وبـالموازاة مـع كانـت تقـوم بـه فـرق الجـيش والـدرك والشـرطة واللفيـف الأجنبي والجنود السنغاليين، كانت تفضل التحرك بشكل خاص، تحت جنح الظلام، تمارس جرائمها بدم بارد، وعلى سبيل التسلية في أغلب الأحيان، وقد كان مركز عموشة وما جاوره، مسرحا لهذه الجرائم البشعة.[18]

4.الوضع في عين الكبيرة:

الوضعية في عين الكبيرةPerigot ville حسب التقرير تختلف عن النواحي الأخرى، والسبب هو أنه في هذه الناحية، كل العائلات الفرنسية مستها الفاجعة، إحدى عشر شخصا قتلوا في المدينة، فهي من دون شك. المكان الذي بكى فيه على أكبر عدد من المفقودين(الخسائر البشرية) هذا الوضع أدى إلى تشكل مجموعتين هي متعارضة حاليا.

المجموعة الأولى: تتشكل من الفرنسيين، المقيمين بعين الكبيرة قبل 8 ماي 1945م، ومن جزء من المسلمين الفرنسيين، المتكتلين حول السيد " مازوكا" طبيب المستعمرات في عين المكان.[19]

المجموعة الثانية: تتكون من الموظفين والعمال، في البلدية المختلطة أغلبهم جاء منذ فترة حديثة بالإضافة إلى قياد والكتلة المسلمة المتجمعة حول السيد " **روجي بن مبارك**" المتصرف الإداري في عين الكبيرة.[20]

الانشقاق بين الفريقين واضح، بحسب التقرير، مصدره يأتي من الدور الضعيف للمصالح العليا من ناحية وسيرة الدكتور" مازوكا" اثناء مجريات أحداث ماي 1945م، ومن ناحية أخرى النفوذ الكبير، الذي كان يتمتع بيه السيد" **بن مبارك**" على إداريه. يتحدث التقرير عن سيرة المتصرف الإداري **"بن مبارك "** بأنه وصل في

نهاية شهر سبتمبر إلى بلدية عين الكبيرة التي مستها الأحداث يعمل بدون توقف إلى ساعة متأخرة من الليل وفي هذه النقطة كان يثير اعجاب السكان وحتى خصومه .

إن الصراع الذي كان مخيما، على العلاقة بين الطبيب" **مازوكا**" والمتصرف "**بن مبارك** "يبدو في تحليل التقرير،أن جذوره تعود أساسا إلى أسباب سياسية،حيث أنه وخلال الانتخابات الأخيرة للمجلس العام، قام المعمرون للدائرة الانتخابية، بتقديم التماس إلى الطبيب "**مازوكا**" بالترشح ضد المعمر "**فورنييه**"[21] لكن الأمور تغيرت أو انقلبت بشكل مفاجئ؛ إذ بادر السيد "لو" (Lieu)الذي لا يذكر منصبه أو مركزه،وشخصيات أخرى، بتوجيه دعوة للمرشح الأول بالانسحاب، لصالح المرشح الثاني، عشية الانتخابات.

يتابع التقرير، التفصيل في القضية، فيذكر أنه إلى غاية الآن، يظهر أن الطبيب " **مازوكا**" لديه النية المطلقة أو الثابتة، للمشاركة في هذه الانتخابات الجديدة ولأجل ذلك يتوجب عليه أن يتخطى عائقا كبيرا، يتمثل في نفوذ المتصرف الإداري السيد"**بن مبارك**" هذا الأخير هو صديق كبير للسيد" **فورنييه**" **إذ** درس معه في مرحلة التعليم الثانوي، كما أن الأول قد سبق له أن شغل مهام نائب المتصرف الإداري بخراطة، لأكثر من ثلاث سنوات.[22]ومن أجل زيادة حظوظه، كان الطبيب " **مازوكا**" يرغب في ضمان أصوات الفرنسيين المسلمين، الذين يصوتون في الدائرة الانتخابية الفرنسية (القياد القدامى والجدد، الرؤساء والرؤساء السابقون للجماعة...الخ) المقدر عددهم بحوالي 420مصوتا لهم، وزنهم في الدائرة الانتخابية، ومن دون شك سيضمنون النجاح، لمرشحهم المفضل.

يصف التقرير الوضع، بعد سرده المعطيات السابقة، فيقول: أن الصراع بدأ في الاشتعال بين المتصرف الإداري وطبيب المستعمرات، الحد الأدنى من الحجج والمزاعم مقبول، وكل واحد يبحث عن تحطيم نفوذ منافسه؛وقد بدأ الصراع أولا في جلسة أو الاجتماع للإصلاح ورأب الصدع مخصص لضحايا القمع(ماي1945م). انعقد في شهر أكتوبر الماضي(أكتوبر 1945م) بشأن موضوع اقتراح تقدم به السيد "**بن مبارك**" يتعلق بمراكز بني عزيز CHEVREUILوعموشة من جهة، وكسكس(طعام) المصالحة

المقترح من طرف الطبيب " **مازوكا**" والذي أثار استياء وحفيظة المتصرف الإداري، الذي رأي بأن الظرف غير مناسب لمثل ذلك، من جهة ثانية.

يتابع التقرير، تصاعد وتيرة الصراع، بين الشخصيتين المحليتين، فيخبرنا بأن الطبيب، حرر شكاوي ضد السيد " **بن مبارك**"؛ الذي يزعم أنه لا يمكن أن يكون في مكانته، رغم اعترافه بالعمل الكبير الذي يقوم به هذا الأخير، من أجل تذليل العقبات التي تعترض سبيل عملية التموين، ولكنه ومع ذلك أوضح بأن المتصرف الإداري، الذي ينقصه التكوين، يكون أفضل في مكانه بمكتب بالمحافظة على سبيل المثال، أو في منصب مستشار الذي يمكنه أن يقدم من خلاله خدمات جليلة.

كما وجه له بصراحة اللوم، على رغبته في سحب الأسلحة من الأوروبيين، وقيامه بإلغاء منصب حارس الحقول الأهلي(الناطور) garde champêtre من وظائفه الذي بفضل شجاعته تمكن من إنقاذ حياة شابين صغيرين فرنسيين، كانا مطاردين من قبل مشاغبين ليتبع كل ذلك بتقديم شكوى ضده، على احتفاظه بعناصر تنتمي إلى حزب الشعب الجزائري (PPA)، ضمن عمال البلدية المختلطة لتاقيطونت commune mixte de Takitount) .

وفي المقابل، أكد المتصرف الإداري من جانبه، على السلوك العنيف للطبيب، متهما إياه رفقة مساعديه الأوروبيين، بزرع جو من الخوف، وهو ملا يتوافق حسبه مع أهداف التهدئة، التي تمت التوصية عليها، وبالسعي منذ اجتماع لجنة الإصلاح لصالح ضحايا القمع، بكل الوسائل لحرمان عائلات المشاغبين (من الأهالي) من أية مساعدة[23] .

يتعلق هذا الوصف المفصل، للصراع الانتخابي الحامي الوطيس، بين المرشحين الأوروبيين الطبيب والمتصرف الإداري، في الدائرة الانتخابية، لبلدية تاقيطونت المختلطة، بالانتخابات النيابية لسنة 1946م، التي اتضح لنا أن كل الوسائل استخدمت في حملتها الانتخابية، من أجل الفوز بكرسي النائب الذي يمثل البلدية المختلطة، بما فيها استغلال مآسي جرائم ماي 1945م، عن طريق إظهار الرغبة في إعادة العلاقات، بين المسلمين والأوروبيين إلى سالف عهدها .ولأن الغاية تبرر

الوسيلة، في مثل هذه المناسبات، فقد كانت مآدب الطعام، إحدى الوسائل الفعالة، في نظر المرشح للانتخابات الطبيب **"مازوكا "**، الذي بدا وكأنه يتصرف بثقة كبيرة في النفس ربما تعود إلى يقينه بأن شعبيته كطبيب وحيد بالمنطقة، ستكون الفاصلة في حسم المواجهة الانتخابية، أمام تدني شعبية المتصرف "بن مبارك " الذي يمثل الإدارة ومن يدور في فلكها من الجزائرين،المجندين لخدمتها، والمنتفعين من قربها .

المعلومات المتوفرة لدينا حاليا، حول سيرة وسلوك الرجلين، أثناء أحداث ماي 1945م، تفيد أن **"بن مبارك "** قد استقدم في شهر سبتمبر 1945م، من خراطة إلى عين الكبيرة، ليخلف المتصرف الإداري الرئيسي السابق "روسو روني " Rousseau Renté"الذي قتل رفقة مساعده "**بنسال ايف** "Bancel Yves، قبيل الساعة الثالثة زوالا من يوم 08 ماي 1945م[24]، بعد محاولتهما الفرار من حاجز صخري، أقامه المنتفضون بقيادة **"ضيافات مبروك "** المدعو "**العدواني** "[25] نسبة إلى دوار أولاد عدوان الذي ينحدر منه، والإخوة "**بوعود الشريف** " و"**صالح** "[26].

بمعنى أنه لم يكن على الأقل، طرفا في الأحداث، التي جرت في عين الكبيرة، ولكن في المقابل لسنا ندري حقيقة دوره في الأحداث ذاتها، التي عرفتها قرية خراطة وضواحيها، والتي كانت تتبع إداريا إلى بلدية تاقيطونت المختلطة، الكائن مقرها بعين الكبيرة ؟.وفي المقابل، نعرف أن الطبيب **"مازوكا "**،النقيب في جيش الاحتياط[27]، كان- بحسب الرواية الشعبية -يتمتع بصيت شعبي كبير، بحكم مهنته، وربما كان هذا هو السبب الأساسي، الذي يزعج خصومه الأوروبيين خاصة في الانتخابات، وعلى رأسهم المتصرف "بن مبارك " وحليفه المعمر "فورنييه " الذي دفعه المتصرف والملتفين حوله، إلى واجهة الأحداث في البلدية المختلطة التي لم تضمد جراحها بعد مجازر رهيبة.

ونعرف أيضا، أن منزلا **"مازوكا "** والمزارع **"ريشار بيير"Richard Pierre**، كانا من بين الأهداف التي هجم عليها المنتفضون، الذي قتلوا موزع البريد وابنه، ومالك الأراضي وقاضي الصلح **"هنري فابرير " "Henri Fabre"**،وبرج البلدية المختلطة، الذي نهبت الأسلحة والذخائر المخزنة بداخله، وقد كانت حصيلة القتلى الأوروبيين

19 قتيلا[28] .ومن المهم جدا، الإشارة إلى أن شقيق الطبيب، الذي لم نعرف اسمه، قد شارك بصورة فعالة في عمليات القمع العسكري التي، تلت الأحداث، وكانت في غاية الدموية، بقيادة العقيد "**بورديبه "Bordier**ومساعده المقدم "**بيرابو**" [29].

ويبدوا أن الجمع بين مهنة الطب، والخدمة في الجيش الاستعماري برتبة عالية (نقيب) قد جعلت الطبيب النقيب "**مازوكا** "، يتصرف في حدود ما يتردد عنه من أخبار في الناحية، ليس وفق ما تقتضيه الأخلاقيات النبيلة لمهنة الطب، التي تلقن لكل طبيب، عند تلقيه الدروس الأولى، في هذا المجال الإنساني البحت، وإنما وفق ما تمليه عليه، مصالح المؤسسة العسكرية التي ينتمي إليها، وعقيدته الاستعمارية الموغلة في الحقد والكراهية، لكل وطني يرفض سياسات ظلم المحتل، الذي تمادى في إذلاله واضطهاده، لأمد طويل من الزمن، ضاربا عرض الحائط بالقيم الإنسانية، التي تتطلبه منه كطبيب، أن يبذل كل ما يستطيع من جهد وعلم، وخبرة ودراية، لمعالجة المريض أو المصاب، وإنقاذ حياته، دون أي اعتبار، حتى ولو كان خصما أو عدوا له، لأن حياة الإنسان مقدسة، والحفاظ عليها واجب يسمو على كل شيء، في كل زمان ومكان .

وفي هذا الصدد، تتداول العديد من الروايات، عن ممارسات قام بها الطبيب "**مازوكا**" اتجاه بعض المرضى والمصابين، من الجزائريين، الذين يصنفون عنده في الخانة السوداء، حيث قصدوه وكلهم أمل في أن يجدوا عنده، وهو الطبيب الوحيد المحترف في الناحية، الترياق الشافي لأمراضهم وعللهم وأسقامهم وجراحهم، التي فاقمها الفقر المدقع والبؤس، والجوع والحرمان والقهر، دون أن يدروا أنهم ذاهبون إلى حتفهم، يقدمون أجسادهم العليلة والمنهكة لطبيب، تجرد من كل المشاعر والقيم السامية، فاستحق برأينا لقب الطبيب السفاح، عن جدارة واستحقاق .

نكتفي هنا بسرد حادثة واحدة[30]، بشكل مختصر، على أن أمل ان نشبع هذا الموضوع، بحثا في المستقبل، متى توفر الوقت والمعطيات الكافية حوله، خاصة وأن موضوع الطب الاستعماري في الجزائر، لا يزال بكرا يحتاج إلى جهد كبير، لنفض

الغبار عنه، حتى نكون صورة واضحة، عن توظيفه لمصلحة المستعمر، على غرار ميادين التعليم والدين والاقتصاد ...وغيرهم .

يتعلق الأمر، بعملية انتقام بشعة، قام بها الطبيب "**مازوكا** "، من السيد "**لمنور لعليوي**" المولود عام 1910م، بدوار "**القرقور** " سابقا قرية "صرفدة "التابعة حاليا لبلدية عموشة ولاية سطيف، المنخرط في حزب "**حركة أحباب البيان والحرية** " لفرحات عباس، المشارك في الأحداث التي عرفتها مدينة عين الكبيرة 08ماي 1945م، رفقة أربعة زملاء له هم :**سمارة، بوالميل، عبد الله يخلف، رقبي العياشي بن عيسى**، من دوار **القرقور**، الذين قاموا بقتل النائب"**فابرير**"و02 من الرماة الفرنسيين كلفا بحراسته هما :"**بواسوني** "Poissinnetو"**هارتمان** "hartmann،وقد نجا الطبيب من الموت، باختبائه في المدخنة، فلم تلحظه عيون الثائرين الراغبة في تصفيته، رغم كونه طبيبا .

وقد جاءته فرصة الانتقام، من السيد "**لمنور لعليوي**"، بعد أن أصيب ابن هذا الأخير المدعو "عمار "،الذي كان يبلغ حينئذ حوالي عامين، بحمى شديدة ناتجة عن التهاب اللوزتين، حيث تذكر والدة الطفل عمار المدعوة "نوارة ميلة " بنت "عبد الله " وسيموشة رقبي"، التي قامت بنقله بعد تردد كبير، إلى الطبيب "مازوكا "، أن هذا الأخير سألها في البداية،عن اسم والده، ولما أخبرته بأنه "لمنور لعليوي "، ذهب وأحضر لها زجاجة بها سائل لا تعرفه، مغلقة بسدادة مصنوعة من الفلين، وطلب منها أن تناول الطفل، ذلك الشراب لما يريد أن ينام، وأنه سيشفى بسرعة، نظرا لفعاليته الكبيرة.

ولما ناولته الدواء (السم) مباشرة بعد عودتها إلى المسكن العائلي،وكما طلب منها الطبيب،توفي الطفل مباشرة، حيث خرجت رغوة بيضاء من فمه وأنفه، وبعد أن قامت بسكب كمية من محتوى الزجاجة على التراب أحدثت رغوة كبيرة، ولما عرضت الكمية الباقية،على قريب لهم يملك سيارة، أخبرهم بأنه حمض خاص بالبطاريات السيارات والشاحنات.لتعرف الوالدة والوالد،أن الطبيب قد انتقم من هذا الأخير،بقتل ابنه الصغير البريء،بطريقة تشمئز منها حتى النفوس التي تعودت على

الإجرام وسفك الدماء،عقابا له على مشاركته في أحداث8 ماي1945م واستهدافه هو شخصيا من قبل المهاجمين، الذين كان"لمنور"البارع في القنص الذي قلما يخطىء هدفه، واحدا منهم.

يتوقف التقرير،عن الحديث عن الصراع الانتخابي، بين المتصرف الإداري والطبيب، ليتحدث عن مسائل أمنية، مثل طلب السيد المتصرف بضرورة الوصول الفوري لشعبة الدراجات المكلفة بالحماية، التابعة للبلدية إلى عين الكبيرة، دون أن يذكر السبب في ذلك .وقيام السكان الأوروبيين[31]، بالتعبير عن موقفهم المتمثل في عدم اطمئنانهم إلى الضمانات الأمنية الحالية، وعن رغبتهم في ضرورة، إعادة الأسلحة المخزنة حاليا في البرج (برج تاقيطونت) بالبلدية المختلطة، إلى السلطة العسكرية، لأنهم يخشون من أن تستخدم ضدهم في يوم ما .

وإضافة إلى ذلك، سجل التقرير، أن ناحية عين الكبيرة، تعاني بشكل خاص، بسبب الجراد البرد والدمار المقترف من قبل العسكريين أثناء القمع، كل ذلك دمر المحاصيل وقطعان الحيوانات في هذه الناحية، التي عانت بما فيه الكفاية، حيث أصبحت تعكس مشهدا من الكآبة والحزن .

وفي الأخير، يشير إلى أن معونة الشعير الأخيرة، المخصصة للأهالي، والتي تم توزيعها يوم الأحد 28 فيفري 1946م، تمثلت فقط في 03 كلغ بدلا من 6كلغ و500 غ، وإلى أن المجاعة مخيمة على الوضع، فالأهالي يموتون يوميا، بسبب نقص الغذاء، ولقد حان الوقت لنقدم المساعدة لهؤلاء السكان البائسين، وبالتأكيد على أن هناك حساءات شعبية توزع يوميا، لكن الكثير من هؤلاء البؤساء، يقطعون مسافات طويلة، للحصول على صحن من المرق، فالحريرات الموزعة، بعيدة عن تعويض المجهود المبذول، كل هذا زاد من تفاقم حالة الضيق والعسر، التي تخيم على الجهة[32] .

في واقع الأمر، أن حالة البؤس والعسر الشديدين التي كان عليها حال السكان الجزائريين في نواحي **عين الكبيرة وعموشة** وغيرهما، قد وصلت حد المجاعة التي اعترف بها التقرير، وان لم يذكرها بالاسم، حيث حاول لفت انتباه السلطات العليا، إلى حجم المأساة، التي تعاظمت بفعل مخلفات مجازر ماي 1945م .ولا زالت الذاكرة

الشعبية، تحتفظ ببعض ملامحها، من خلال وصفها تلك الفترة بعام "الشر " أي الجوع في اللغة العامية الجزائرية، إذ لم يجد أثناءها الناس ما يقتاتون به غير الأعشاب، وجذور النباتات، وخاصة النبتة المعروفة محليا باسم "تالغودة " التي تنتشر بكثرة في المنطقة، خلال فصل الربيع، وثمار البلوط،التي تجفف وتطحن وتصنع منها الكسرة (خبز تقليدي)التي لا يمكن أن يأكلها إلا المشرف على الهلاك، كما أخبرنا بذلك الذين تناولوها، علاوة على تأثيرها الذي لا يعلمونه على صحتهم .

إن مشاهد الفقر والمجاعة والبؤس، التي ضربت المنطقة بصفة خاصة، والكثير من أنحاء البلاد بشكل عام ليست وليدة أحداث ماي 1945م، فقد بدأت تلوح في الأفق منذ سنة 1940م، أين بدأت عملية توزيع بعض المواد الأساسية بالبطاقة، مثل السكر والصابون والمواد الدسمة والنسيج، واختفت مواد أخرى بسبب المضاربة (السوق السوداء) [33].وما إن حلت سنة 1941م، حتى غاب تماما، الفحم وأخشاب التدفئة، والأنسجة عن السوق المنظمة ليصل الأمر حد أن العمال الزارعين وصغار الفلاحين، أضحوا عاجزين عن توفير الأكفان لدفن أطفالهم الموتى، ليؤدي ذلك بدوره إلى ظهور حالات من الجنون بين صفوف الأهالي، الذين لم يتحملوا منظر عائلاتهم وهي تموت أمام أعينهم، دون أن يستطيعوا فعل شيء [34].

ومع مرور الوقت سيطر التجار المضاربون على الوضع، المتحالفون مع القياد في الأرياف وعناصر الدرك على مستوى الطرقات التي تمر عبرها البضائع المهربة، وأفراد الشرطة في الأحياء مقابل أخذ حصصهم من كل عملية .[35]وقبل اقتراف مجازر ماي وجوان 1945م بقليل، كانت الأرياف الجزائرية، قد ودعت على التو شتاء متجمدا، خلف وراءه الكثير من الضحايا، الذين ماتوا من البرد والجوع، والحمى التي لم يتمكنوا من شراء الأدوية الخاصة بها، بفعل غلائها في السوق السوداء، فكان منظر المقابر التي دفنوا بها، يشبه حقولا واسعة تم إنشاءها حديثا، من كثرة القبور الجديدة بها [36].

لقد كانت مأساة إنسانية رهيبة، اكتفت خلالها سلطات الاحتلال، بلعب دور المتفرج، الذي لا يعنيه الأمر وهو سلوك اعتاد عليه الجزائريون من طرفها، منذ أن

أصبحت بلادهم تحت سيطرتها العسكرية، بمبرر التمدين، الذي يبدوا أنه لا يتم في مفهومها إلا بالإبادة والقمع والتجويع والتجهيل، وجعل الشعب المستعمر، يعيش خارج الزمن، كما كان يحدث مع الجزائريين **ملاحظات واستنتاجات :**

نسجل أن الجهات الأمنية الاستعمارية، قد بدت فعلا مهتمة بتتبع الحالة الشعورية للسكان الأوروبيين والجزائريين، في سطيف ونواحيها، ليس في هذا التقرير فحسب، بل في كل التقارير –التي حررت بعد الأحداث، وتمكنا من الاطلاع عليها .لا يختلف خطاب التقرير، بالرغم من سريته، عن الخطاب الرسمي، حيث تجنب الحديث عن الأسباب الحقيقية لأحداث ماي 1945م، ويكتفي بسرد رؤية المعمرين والإدارة المحلية، التي لا تخرج عن إطار نظرية المؤامرة .

وفي هذا الصدد، وبالنظر إلى ما جاء في التقرير، الذي كان حصيلة لمهمة استطلاعية أمنية في المنطقة، نتساءل هل كان المطلوب من الدوائر الأمنية التي تعد التقارير هو مسايرة الخطاب الرسمي وبالتالي تحرير تقارير بمضامين تخالف الوقائع ؟ أم العكس هو الذي كان يحصل بمعنى أن تلك الدوائر كانت تضلل سلطاتها العليا ربما حتى لا تتهم بالتقصير أو لأسباب أخرى ؟

من النقاط المهمة، التي جاءت في التقرير تطرقه إلى الصراع الانتخابي الشرس بين عدة أطراف تشكل النسيج الأوروبي في الجزائر :الإدارة، المستوطنون، الأعوان المحليون، فئة من الجزائريين المعنية بالصراع لارتباط مصالحها بنتائجه .

وفي الحقيقة، إن ذلك الصراع الانتخابي، الذي كان مقره بلدية تاقيطونت المختلطة بعين الكبيرة، أواخر سنة 1945م وأوائل سنة 1946م مسرحا له، لم يكن إلا صورة بسيطة لصراع أكبر ممتد في كل شيء، مرتبط بتصادم المصالح، منذ سقوط البلاد في الاحتلال وإلى غاية طرده منها .

بدا كاتب التقرير في الختام، وكأنه في حال من صحوة الضمير، لما ساق عبارة :هذه الناحية، التي عانت بما فيه الكفاية حيث أصبحت تعكس مشهدا من الكآبة والحزن وهي لغة تغيب في التقارير الأمنية، التي يحررها ضباط الشرطة والجيش والاستخبارات، الملوثة أيديهم بدماء الجزائريين، والمثقلة سجلاتهم بالقمع والسلب

والنهب، وانتهاك الأعراض وتدمير وحرق الممتلكات، ولا شك أن المحافظ الرئيسي، رئيس شرطة الاستعلامات العامة لناحية قسنطينة المدعو "**بورديبه** "،الذي قام بتحرر هدا التقرير الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة واحدا منهم .

من الواضح، أن الضابط الذي قام بالمهمة الاستطلاعية، قد زار فقط بعض النقاط المتمثلة في مدينة سطيف ومركزي **عين الكبيرة وعموشة** من جهة،وإن إقامته قد طالت في عين الكبيرة، حيث أن التفاصيل التي أوردها حول الصراع الانتخابي،تتطلب بدون شك وقتا كبيرا للإحاطة بها من جهة ثانية .

وفي الأخير، ينبغي توجيه جهود المؤرخين والباحثين، المهتمين بالتاريخ المحلي للجزائر في الفترة الاستعمارية، إلى نفض الغبار عن المرحلة التي تلت مجازر ماي 1945م، لأهميتها في فهم ما حدث من كل الجوانب، ودور كل ذلك في إشعال فتيل الثورة التحريرية الكبرى .خاصة وأن الذاكرة الشعبية، في بلدية **تاقيطونت** المختلطة، التي تشمل مراكز:**عموشة وعين الكبيرة وبني عزيز وتيزي نبشار وخراطة وبابور**، وفي غيرها مثل **أوريسيا وعين عباسة وبوقاعة lafayette** ...الخ، تجمع على أن الناحية، قد قامت في القرن العشرين بثورتين كبيرتين هما :ثورة 08ماي 1945م، التي عرفتها الناحية وثورة أول نوفمبر 1954م، التي اندلعت في **الأوراس**، وامتدت إلى باقي أنحاء الوطن .

الهوامش:

1 رضوان عيناد ثابت: 8أيار/ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ترجمة سعيد محمد اللحام، ط5، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر،2005، ص163.

2 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville, N : 1595 ;16 mars 1946, préfecture de Constantine, police des renseignements généraux, district de Constantine, Fr CAOM 93/4161.

3 Rapport d'état d'esprit des populations les régions de Sétif et Perigot ville,opcit,p1.

4 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville ,OP-cit,P1.

5. أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية1930م-1954م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1986، ج3، ص224

6. بن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر 1954،ط2،دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر،2012م، ص135.

7. المرجع نفسه، ص136.

8. جون لوي بلانش: سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ترجمة عبد السلام وآخرون، د ط، دار القصبة، الجزائر، 2007م، ص124-125.

9 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville,ibid,,p,1

10حول تقرير لجنة توبير، أنظر أحمد صاري: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، د ت، ص37 وما بعدها.

11 بلانش : سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص206.

12 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville,ibid,,p,1.

. 13حول اندلاع الأحداث في عموشة شمال سطيف، وعمليات القتل والقمع والتدمير في المنطقة، أنظر شهادة السيدين، عبد الرحمان شلوش ومليا ي بلقاسم في كتاب" 8 ماي/ أيار 45 والإبادة الجماعية ف الجزائر" لرضوان عيناد ثابت،

المرجع السابق، ص228،230، 231 وبلانش،سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص211.-212

14 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville,ibid,,p,.2.

15 رضوان عيناد ثابت، 8أيار/ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ص229.

16 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville,ibid,,p,2.

17 للمزيد حول عمليات التسليح أنظربلانش، سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص278

18 للمزيد حول الجرائم المليشيات أنظر رضوان عيناد ثابت،8أيار/ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ص86 وما بعدها.

19 Docteur Mazzuca médecin des colonies.

20 L'administrateur Roger Benmebarek.

21 Fournier.

22 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville,ibid,,p,2.

23 d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville,ibid,,p,.3

24أنظر بلانش، سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص 212،213

25 أنظر بلانش، سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص212،213

26 أولاد عدوان :هي حاليا بلدية إدارية، تتبع دائرة عين الكبيرة

27 رضوان عيناد ثابت، 8أيار/ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ص82

28 المرجع نفسه، ص70،71

29 المرجع نفسه، ص82،83

30 -الحادثة رواها لنا السيد "عمار لعليوي"،شقيق الطفل المقتول، نقلا عن والديه، في مقابلة معه يوم 19أوت 2014م

31 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de sétif et perigot ville .op –cit .p3

32 Rapport d'état d'esprit des populations dans les régions de Sétif et Perigot ville .op –cit .p3

33 بلانش، سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص63

34 بلانش، سطيف 1945م- بوادر المجزرة، ص64.

35 المرجع السابق، ص66 وما بعدها

36 المرجع نفسه، 149، وما بعدها